الكتابة التاريخية في بدايتها عند العرب والمسلمين

أ.محروق إسماعيل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة المدية

***Résumé*:**

Etait écrit les outils les plus importants et les moyens utilisés par les Arabes pour sauver leur patrimoine à travers l'histoire, ont quitté la nouvelle interprétation qu'ils étaient dépendants de la transmission et la perpétuation de leur poésie et leurs jours à travers plusieurs générations successives, peut avoir accompagné l'écriture historique de musulmans au début de la codification du Coran, et les Hadiths les origines du le lien, a aussi aidé le mouvement de translation à travers l'histoire de la civilisation, de prospérité islamique et la diversité de l'écriture musulmane historique; comme une des approches privée indépendante adoptée par les historiens de premier plan ont facilité la tâche de sélection, de présentation et une critique et d'analyser l'incident et les nouvelles .

ملخص:

تعد الكتابة من أهم الأدوات والوسائل التي استعان بها العرب لحفظ تراثهم عبر التاريخ، وقد خَلفت الرواية الشفوية التي كانوا يعتمدون عليها في نقل وتخليد أشعارهم وأحداثهم وأيامهم عبر عدة أجيال متلاحقة، وقد لازمت الكتابة التاريخية عند المسلمين في بدايتها تدوين القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف الذي من أصوله الرواية والسند، كما ساعدت حركة الترجمة عبر تاريخ الحضارة الإسلامية ازدهار وتنوع الكتابة التاريخية عند المسلمين؛ حيث استقلت بمناهج خاصة اعتمدها كبار المؤرخين سهلت لهم مهمة انتقاء وعرض ونقد وتحليل الحادثة والخبر التاريخي.

مقدمـــة:

تعدّ الكتابة أهم مظهر من مظاهر الحضارة الإنسانية، وهي وسيلة خلّد بها الإنسان تاريخه حتّى في عصور ما قبل التاريخ؛ فقد كتب المصريون القدامى، والسومريون، والبابليون على معابدهم، وعلى المسلاّت أهم جوانب حياتهم المختلفة؛ فدونوا احتفالاتهم وأعيادهم، وانتصارات ملوكهم، وعباداتهم، وغيرها من الأمور..، والكتابة التاريخية ليست حكرا على مجتمع إنساني واحد أو على عصر معيّن، بل هي إنتاج متجدّد ومتطوّر في كل جيل حضاري.

وقد عرف العرب والمسلمون الكتابة التاريخية وطوّروها، واستعملوا فيها مناهج خدمت دوافع الكتابة لديهم، فما هي الأسباب التي دفعتهم إلى الكتابة التاريخية؟ وكيف كانت عند العرب قبل الإسلام؟ وكيف كانت مع مجيئه؟ وما هي مميزاتها مع عصر الإسلام؟ وما هي مناهج وموضوعات الكتابة التاريخية عند المسلمين؟

1. أسباب ودوافع العرب والمسلمين في كتاباتهم التاريخية:

– من الأسباب التي دفعت العرب إلى الكتابة التاريخية طبيعة مجتمعهم القبلي، وما كان يسود هذا المجتمع من مفاخرة الأفراد والقبائل بحسبها ونسبها، وأخبار الحروب بين القبائل المختلفة، أو ما يُصطلح عليه بأيام العرب، فكانت حمية وعصبية عرب الجاهلية تنهض بهم إلى تخليد مآثرهم، وكانت لأهوائهم الشخصية دور في تسجيل هذه الأيام، فكل مجتمع قبلي يُحاول نسب الغلبة والتفوق إليه، وفي الوقت نفسه يغضّ من قدر خصومه، ولعلّ أهم ما كتب في ذلك: كتاب "أخبار اليمن" لعُبيد بن شرية الجُهمي الذي كتبه أواخر أيام معاوية بن أبي سفيان (ض) (ت61هـ) ، وكذلك كتاب "التّيجان في ملوك حِمير" لوهب بن منبّه (ت110هـ)**(1)**.

– حرص الموالي على الإشادة بمجد بلادهم القديم.

– كان تدوين الأنساب وأيام العرب في الجاهلية يسدّ حاجة الشعراء والأدباء في مقام الفخر والهجاء**(2)**.

– اجتهد المؤرخون المسلمون في الكتابة التاريخية لخدمة الدّعوة الإسلامية وحفظ أحاديث النبي ﷺ، وسيرته، وشمائله، ومغازيه. وقد جاء الإسلام مُحفّزا ومشجّعا المسلمين على الاهتمام والبذل في ذلك، فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الأحداث تسجل تاريخ المجتمعات السابقة، وربما جاءت في سورة كاملة تحمل أخبار تلك الدول كسورة (سبأ) **(3)**.

– ميل بعض الخلفاء إلى معرفة أخبار الملوك السابقين للوقوف على سياستهم ومكائدهم، والانتفاع بتجاربهم، فقد ذكِر أن معاوية (ض) كان يستمع كل ليلة إلى أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياستها لرعيتها وحروبها، وكان المنصور يحرص على معرفة التاريخ للاستفادة من تجارب الماضين واستخلاص العبر من سيرتهم.

– حرص العُلماء المسلمين على فهم إشارات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن الأمم الخالية وتوضيح مدلولها، وقد استعان المسلمون باليهود والنصارى لتوضيح ذلك فأخبروهم عن أصول هذه الإشارات في التوراة والتلمود**(4)**.

– رغبة الولاة في معرفة تاريخ الفتح للبلاد، ومعرفة ملابساته، فمنها ما فُتح صلحا، أو عُنوة، أو بعهد؛ فلكل حالة من هذه الحالات حُكما خاصا من حيث الجزية والخراج.

– كان نظام العطاء يستلزم معرفة الأنساب، والسباقون في الدفاع عن الإسلام، ونشر دعوته.

– ساعد إنشاء الدواوين في نظام الدولة الإسلامية المؤرخين من الانتفاع بها لما تحتويه من معلومات، وعهود رسمية ومراسلات سياسية وإحصاءات..

– ساعدت حركة الترجمة من الفارسية، والسريانية، واليونانية، وغيرها إلى اللغة العربية المؤرخين المسلمين من تدوين أخبار تلك الأمم.

– سهولة الانتقال في أنحاء الدولة الإسلامية دفعت الكثير من طلاب العلم والمؤرخين على الرحلة من أجل طلب الرواية التاريخية، ورؤية عجائب البلاد ومشاهدة آثارها، ومن ثم كتابتها**(5)**.

– ساعدت الروايات التاريخية الشفهية المُسندة التي تعتمد على ذاكرة الرواة– والتي تحمل اسم (الأصول) في المصادر التاريخية– المؤرخين من حفظ تلك الأخبار في كتاباتهم؛ وهذا ما نجده عند عظماء مؤرخي الإسلام الأوائل كالطبري والبلاذري(**6**).

– تأثر المؤرخين المسلمين بالحركة العلمية الواسعة خاصة في بغداد، ومصر، والأندلس والتي بلغت مرحلة النضج في عدة مجالات كالفلسفة، والفلك، والجغرافيا جعلهم يكتبون في تلك المواضيع وفي تاريخها(**7**).

– ظهور الورق وانتشاره بعد أواسط القرن الثاني الهجري ساعد على التدوين التاريخي والتوسع فيه(**8**).

2. الكتابة التاريخية عند العرب قبل الإسلام:

لم تكن الكتابة وليدة الفترة قبيل الإسلام عند العرب، بل كانت منتشرة قبل ذلك في إطار محدود، كما أنها لم تكن مجهولة كل الجهل، وكانت عقلية عرب الجاهلية أقدر على الشعر منها على معالجة كتابة التاريخ؛ كانت عقلية شديدة التعصب للقبلية، متشبعة بروح العصر الذي هي فيه(**9**). وهناك من الآيات ما يدل على أن العرب كانت لهم كتابات تاريخية في جاهليتهم سواء في اليمن، أو تدمر أو الحيرة، قال تعالى: ﴿ قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾(**10**)، وقوله أيضا: ﴿ ن والقلم وما يسطرون..﴾(**11**).

هناك من الغموض ما يسدل أستاره على بداية الكتابة التاريخية عند العرب قبل الإسلام، وإن اتضحت من الأخبار والحقائق التي ناقشت تدوين تاريخ الجاهلية وأشعارها؛ ولم تذكر للأسف أسماء الكتب أو المدونات المتداولة في هذا العصر بشيء من الدراسة والملاحظة. ونجد في المصادر القديمة – نقلا– أن هذا الشاعر أو العالم أو الخطيب أو غيره.. كان ممن يقرأ في الكتب القديمة، أو يجمعها، ومن هؤلاء: أمية بن أبي الصلت الثقفي، وقس بن ساعدة الأيادي(**12**).

وقد كان العرب يؤرخون أخبارهم كما قال المسعودي في "التنبيه والإشراف" بتواريخ كثيرة، "فحِمير" و "كهلان" السبئيون كانوا يُؤرخون بملوكهم، أو بالأحداث الجسيمة " كنار صوان" التي كانت تظهر بأقاصي اليمن، وبالحروب التي كانت تقوم بين القبائل والأمم، والتأريخ بوفاة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما كان عرب قريش يؤرخون بوفاة هشام بن المغيرة، وبعام الفيل..

ولعلّ أقدم كتابة تاريخية عربية وُجدت هي "نقش النمارة"؛ وهي كتابة تسجل وفاة ملك الحيرة "أمرؤ القيس الأول"، وقد كتب عام 328م، وبلغة عربية شمالية، وبخط نبطي(**13**). كما أن أهل اليمن كتبوا تاريخهم المتمثل في ذكر أخبار ملوكهم بالنقش على مبانيهم بالخط المسماري، كما دون ملوك الحيرة العراقية أخبار مملكتهم وأودعوها في أديرة الحيرة وكنائسها(**14**).

وبهذا فقد كانت كتابات العرب التاريخية بدائية في معظمها، ولم تصل إلى المستوى الذي وصلت إليه جهود المسلمين في التدوين(**15**). وقد ذكر الجاحظ في كتابه "الحيوان" أربعة عشر عالما صنفوا كتبا في الأنساب، معظمهم عاش قبل الإسلام، وأقدمهم هو "سطيح الذئبي" (ت52 قبل الهجرة). ورغم كل ذلك فإن الكتابات التاريخية العربية قبل الإسلام لم تصل إلينا إلا إذا ذكرت في مؤلفات أخرى تليها، مثل: "أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها"، و"الأمثال" لعبيد بن شرية الجرهمي (ت70هـ)، وكتاب "المثالب" لزياد بن أبيه (ت53هـ).

3. تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي وأهم مميزاتها:

كان لابد قبل التحدث عن الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين أن نتحدث عن التأريخ الهجري لارتباطها به. روى الطبري (ت310هـ) عن سعيد بن المسيب أن "عمر بن الخطاب (ض) جمع الناس فسألهم فقال: من أي يوم نكتب؟ فقال علي رضي الله عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ، وترك أرض الشرك ففعله عمر". وهكذا كانت بداية التأريخ وكتابته من يوم الهجرة النبوية، وانتهى أمر رأس السنة الهجرية(**16**) بمحرم(**17**).

نشأت الكتابة التاريخية الإسلامية نشوءا طبيعيا استجابة لحاجة المجتمع الإسلامي، وكان القرآن الكريم أول مصدر للكتابة التاريخية للمسلمين، فقد حمل أخبار عدة أمم خلت كسبأ، وعدة أقوام عربية بادت كعاد وثمود، وعدة قصص كأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وهجرة سيدنا إبراهيم، وغيرها من قصص الأنبياء(**18**)..

كما أن الحديث الشريف كان أهم العوامل التي ساعدت على نمو وتطور الكتابة التاريخية، فقد كان التدوين التاريخي عند المؤرخين المسلمين ممزوجا برواية الحديث، وكان من الضروري على متقصي الأحاديث النبوية جمع أخبار السيرة النبوية قبل كل شيء(**19**)، وقد أدى كل ذلك إلى إثراء الوعي التاريخي عند المسلمين.

كانت أهم وأخطر خطوة قام المسلمون بها في مجال الكتابة التاريخية هي تدوين القرآن الكريم؛ حيث كان أول الأمر محفوظا في صدور الرجال، ومسجّلا على الحجارة والرقاع، وسعف النخيل، فأمر الصّدّيق (ض) بمشورة من عمر(ض) جمعه، واحتفظ بما جمعه من صحف ثم تلاه عمر (ض)، ثم انتقل إلى حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أم المؤمنين إلى أن دُوّن عهد عثمان بن عفان (ض). كما تأخر التدوين التاريخي للأحاذيث النبوية إلى القرن الثاني الهجري لنهي النبي ﷺ عن كتابة أي شيء من كلامه حتى لا يختلط مع القرآن الكريم(**20**).

بدأت أوائل الكتابات التاريخية عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (ض)، وفي نطاق جد محدد بنقل الأخبار عن أفواه الرواة، ولعل "زياد بن أبيه" (ت53هـ)، الذي ينسب إليه كتاب في مثالب العرب–وهو مفقود– أول السباقين من المسلمين إلى الكتابة، وثاني كتاب يعود إلى النسّابة "دغفل" المسمى "التظافر والتناصر"، وهو كتاب يجمع أخبار الأسمار والنوادر، وينسب إلى عبد الله بن عباس مدونات لم يُذكر لها اسم خاص. ويُعد عبيد الله بن شرية الجرهمي(ت70هـ) صاحب كتابي "الملوك وأخبار الماضين"، و"أخبار اليمن وأشعارها، وأنسابها" من الأوائل الذين وضعوا مؤلفا في التاريخ، بالإضافة إلى "وهب بن منبه" الذي اهتم بكتابة التاريخ القديم "التيجان وملوك حِمير". وواضح أن هذه الكتب التي تستبق الأولوية في كتابة التاريخ تغلب عليها صفة كتب السمر، والأحاديث والنوادر، لتظهر بعدها كتب السير والمغازي، وهي أقرب إلى كتب التاريخ الصحيح من الكتب السابقة(**21**).

لقد كانت المدينة المنورة، والبصرة، والكوفة، ودمشق أماكن تدوين للتاريخ، وتبعتها بغداد، بعدما استقطبت الفكر الثقافي كله؛ وكان مؤرخوا المدينة يميلون إلى السيرة، وأهل مصر إلى النسب والأيام، ومؤرخوا الشام يميلون إلى أخبار بني أمية، واليمنيون يهتمون بذكر اليمن(**22**). كما أن الكتابة التاريخية عند المسلمين لم تكن عملا رسميا للدولة، ولا يمثل تشجيع الخلفاء وولاتهم على التدوين التاريخي إلا مجرد إثبات المعارف الهامة، وتسجيل ما كان يهم الخليفة أو الوالي معرفته(**23**).

وقد كان المؤرخون المسلمون اعتبارا من النصف الثاني من القرن الأول الهجري يعتمدون على كتب قديمة وخاصة تتصل بالقصص القرآني، مثل كتب: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ومن اليهود الذين أسلموا، وما ينقلون عن الشفاه(**24**). ويتسم التدوين في هذه الفترة بطابع الفضول العلمي، والمنفعة الدينية أو الاجتماعية، وقد وافق هذه المرحلة الأولى وجود جمهور واسع من رواة التاريخ والأخبار والأنساب، ومن بينهم أبو يزيد عقيل بن أبي طالب، والذي كان يروي في مسجد المدينة أيام العرب وحروبها، وأبو بكر بن الحكم، والأقرع بن حابس التميمي، والنخار بن أوس العذري أكبر

علماء العرب في الأنساب(**25**). كما راجت في فترة ما قبل القرن الثاني الهجري الكتابات التاريخية التي تبحث في السيرة النبوية أو المغازي، ويعد عروة بن الزبير بن العوام(ت93هـ) من الأوائل الذين كتبوا في السيرة، ووصلت آثاره إلينا عبر ما نقل عنه كابن إسحاق، والواقدي، والطبري(**26**). ومن معاصري عروة الذين اطلعوا بالتأليف في المغازي القاسم بن محمد بن أبي بكر(ت107هـ)، وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت120هـ)، وشرحبيل بن سعد(ت123هـ)، وعبد الله ابن أبي بكر بن حزم(ت130هـ)، ومحمد بن شهاب الزهري(ت124هـ) الذي لم يقتصر على رواية مغازي عروة بل قام ببحث شامل عن روايات أهل المدينة، إذ يعتبر مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة، وقد أسند الزهري رواياته، واشتهر باحترام تسلسل الرواة. وجاء بعده موسى بن عقبة مولى آل الزبير بن العوام(ت141هـ)، وهو تلميذ الزهري؛ والأخبار التي نقلت عن هؤلاء وغيرهم تعد المصدر الأول والأساسي للمادة التاريخية عند المؤرخين المسلمين الذين عُنيوا بالسيرة النبوية كابن إسحاق والواقدي.

يعد كتاب المغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت151هـ) أقدم سيرة تصل إلينا شبه كاملة عن طريق رواية ابن هشام عن الكلبي، ويتكون كتابه هذا من ثلاثة أقسم: المبتدأ وهي الفترة السابقة للإسلام، المبعث وهي رسالة النبي ﷺ، غزوات الرسول ﷺ وسراياه(**27**). وقد كانت مغازي ابن إسحاق مصدرا أساسيا لكل من الواقدي صاحب الفتوح، والطبري، وقد حاول ابن هشام تهذيبها، واختصارها لتصبح بعد ذلك مشهورة بين المؤرخين بسيرة بن هشام(**28**).

تطورت الدراسات في ميدان السيرة والمغازي بشكل مميز عهد محمد بن عمر الواقدي(ت207هـ) صاحب كتاب المغازي، حيث اقتصر فيه على الحديث عن الفترة المَدَنية فقط من حياته ﷺ، وقد كان للواقدي منهج نقدي قائم على الوعي الدقيق في اختيار وتنظيم المادة التاريخية. ولا ينافسه في مثل هذه المكانة سوى تلميذه ابن سعد (ت230هـ) في كتابه "الطبقات"، وقد جاء في مقدمة كتابه الذي يقع في مجلدين أخبار عن بعض الأنبياء، ونسب الرسول ﷺ، وصفاته، ودلائل نبوته، وسفاراته إلى الأمراء والملوك.

تمثل كتابات الواقدي وتلميذه ابن سعد الهيكل العام للدراسات التاريخية في ميدان السيرة النبوية والمغازي، حيث طبقا فيها المنهج الإسلامي في رواية الخبر ونقده(**29**).

وابتداء من القرن الثاني الهجري اهتم المؤرخون المسلمون بجميع الأخبار والأحداث التاريخية والمواضيع المتنوعة، ووجد الإخباريون ميادين أخرى لكتاباتهم غير السيرة النبوية، وما يهم الناس اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا(**30**). ولعل أهم ما يميز هذه الفترة هو الاهتمام بالبعد الجغرافي للحادثة التاريخية، وهذا الاهتمام يقوم على المعاينة والتجربة، بالإضافة إلى الاستعانة بالكتب المترجمة من الفارسية، والسريانية، واليونانية.. (**31**).

في هذه الفترة فترة القرن الثاني الهجري ظهر اتجاه جديد في الكتابة التاريخية عند المسلمين، ارتبط بنضج الوعي التاريخي لدى المؤرخين المسلمين، وهو ما يعرف بالمنهج العلمي في كتابة التاريخ الذي يعتمد على التفسير و التحليل، والنقد للأحداث والأخبار التاريخية، حتى وإن كان ذلك بشكل أولي وبسيط(**32**).

ومن القرن الثالث الهجري بدأت مرحلة جديدة عُرفت بغزارة الكتابات التاريخية وتنوعها في سائر أمصار وأراضي العالم الإسلامي، وكان للأندلس ومصر وبلاد المشرق دور كبير في ذلك، وراجت الكتابات التاريخية التي تصنف في فروع العلم، واهتموا بكتابة المعاجم ككتاب "الفهرست" لابن النديم(ت377هـ). وظهرت موسوعات التاريخ الكبرى، "كتاريخ الرسل والملوك" للطبري (ت310هـ) (**33**)، وكتب التاريخ العام التي تؤرخ لمختلف الموضوعات ككتاب "فتوح البلدان" للبلاذري

وكتابه "الأنساب والأشراف"، وكتاب "المعارف" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت270هـ) وهو موسوعة تاريخية بحق. وكتاب "الأخبار الطوال" للدينوري(ت282هـ)، وتاريخ اليعقوبي(**34**).

لعل أهم مميزات الكتابة التاريخية لدى مؤرخي الإسلام في الفترات اللاّحقة بعد القرن الثالث الهجري قد تمثلت في:

– معظم هذه المؤلفات التاريخية بدأها أصحابها بمقدمة يتناولون فيها بداية الخليقة، ومهبط سيدنا آدم، ويخصصون حديثا حسب ما توفر لديهم من مادة عن الأمم السابقة للإسلام.

– أغلب هذه الكتابات يمكن تقسيمها إلى قسمين هامين: الأول لم يعاصره المؤرخ، وإنا نقله عمن سبقه من الرواة والإخباريين وكتب من سبقوه، والقسم الثاني وهي الأحداث التي عاصرها المؤرخ، ولاحظ أعراضها ومظاهرها، أو شارك في أحداثها.

– استفاد معظم المؤرخين المسلمين من الكتابات الأجنبية، وكان ميلهم إلى كتب التاريخ الفارسية القديمة أزيد، ويتجلى مظهر تأثرهم بها فيما يتعلق بالمنهج أو ترتيب المادة التاريخية.

– إسقاط الإسناد في الكتابات التاريخية، وبه تنقرض الصلة بين التاريخ وعلم الحديث، حيث صار مستقلا بمنهجه الخاص، وشاعت عند المؤرخين الإشارة إلى المصادر في بداية كل تأليف تاريخي.

– تزايد الاعتماد على الوثائق الرسمية كنصوص المراسلات السلطانية، أو الخطب..

– إهمال جزئي وأحيانا كلي لتاريخ ما قبل الإسلام، والاقتصار على الافتتاح برسالة محمد ﷺ بغية التركيز على التاريخ الإسلامي وحده.

– تطور ونمو المادة التاريخية أظهر أنواعا جديدة من تواريخ الدول، والأقاليم، والمدن، والأسر والطبقات، كما أن مسايرة المؤرخين المسلمين للحركة العلمية الواسعة التي نمت في مختلف المجالات كالفلسفة، والفلك، والجغرافية، والرحلات، ومختلف العلوم، ساعدتهم على الكتابة فيها والتأريخ لها.

إذا كان ما سبق من مميزات هو في صالح المؤرخين المسلمين، فإن ما سيلي سيكون عليهم بإدراج بعض نقائصهم وأخطائهم:

– كالنقل المبالغ فيه من مؤلفات من سبقهم نقلا يكاد يكون حرفيا في بعض الأماكن، دون الإشارة الصريحة إلى مصدر الروايات التي اعتمدوها.

– إيرادهم لعدة روايات متناقضة أحيانا تتعلق بموضوع واحد، أو الخلط بين الروايات الصحيحة والروايات الخيالية.

– استخدام بعض المؤرخين المسلمين لبعض الروايات الصعبة الاحتمال والمبالغة في الإحصائيات وعدم التعرض لنقدها، أو مجرد إبداء الشك في صحتها.

– يُعاب على بعض المؤرخين المسلمين ميلهم المذهبي، ويظهر ذلك من خلال كتاباتهم التي تمجد حزبا أو تتعاطف معه، فتاريخ الدولة الأموية كمثال كتب عهد أعدائها العباسيين، فهل يُتوقع أن يُنصفهم مؤرخون عاشوا في العهد العباسي؟(**35**).

4. مناهج وموضوعات الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين:

سلك المؤرخون المسلمون في كتاباتهم التاريخية منهجين أساسيين؛ المنهج الأول التأريخ العام، أو التأريخ حسب السنين، ويكون مع ذكر السند أو دون ذلك، والمنهج الثاني حسب الموضوعات(**36**).

أ- **التأريخ العام أو التأريخ الحولي أو حسب السنين:** وهو التأريخ للأحداث سنة بعد سنة، حيث يذكر المؤرخ السنة أولا، ويذكر ما حدث فيها من الأحداث، وينتقل إلى حوادث السنة التالية بقوله: "ثم دخلت سنة كذا.."(**37**). وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولي ليست ابتكارا للمؤرخين المسلمين، بل كانت معروفة في الكتب الإغريقية، كما كانت معروفة في الأدب السرياني، وانتقل هذا المنهج إلى المؤرخين المسلمين عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية مباشرة، بالإضافة إلى احتكاكهم الثقافي بالنصارى السريانيين خاصة في سوريا، وقد أبدع العرب في هذه الطريقة من الكتابة وطوروها(**38**). ويُعاب على هذا المنهج أنه يُمزّق سياق الحادثة التاريخية الطويلة التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين، فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحولي منها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية ذكرها متفرقة ممزقة في جملة أحداث كل سنة.

وقد انتقد ابن الأثير(ت555هـ) في كتابه "الكامل في التاريخ" هذا المنهج، فيقول: "..ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة، لا يحصل منها على غرض، ولا تُفهم إلا بعد إمعان نظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة..". وقد حاول ابن الأثير قدر المستطاع تجنب الوقوع في العيب الذي أوضحه في الكتابة على المنهج الحولي، فجمع عناصر الحادثة التي تتصل إلى عدد من السنين، ويصل بين أجزائها في سنة معينة، وفي موضع واحد حتى تبرز القيمة الخبرية للحادثة. ورغم كل ذلك فإنه لم يُطبق هذه الطريقة دائما، مثل ثورة الزنج التي وردت في الكامل متمزقة على السنين، والتي دامت حوالي أربعة عشر سنة(**39**).

ومن المؤرخين المسلمين الذين اشتهروا بالكتابة على المنهج الحولي: الطبري (ت310هـ) صاحب كتاب "تاريخ الرسل والملوك"، ابن الجوزي(ت597هـ) صاحب كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، النويري(ت732هـ) صاحب كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب"، والذهبي(ت748هـ) صاحب كتاب "تاريخ الإسلام"..

ب- **التأريخ حسب الموضوعات:** وهو التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول، أو الطبقات، أو الأنساب، أو التاريخ المحلي، أو التراجم..

- التأريخ للدول:

لقد اهتم العديد من المؤرخين المسلمين بالكتابة التاريخية حسب الأسرات الحاكمة، أو الدول، أو العهود؛ ولعل أقدم كتاب ألف في ذلك هو "تاريخ اليعقوبي" من مؤرخي القرن الثالث الهجري، وأهم كتاب ألف في ذلك كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لابن خلدون(**40**).

- التأريخ حسب الطبقات:

ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطا وثيقا، كما ارتبط بالعلوم الدينية، فطبقات ابن سعد، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي، وطبقات الحفاظ للذهبي، هي تراجم لشخصيات محدّثة هامة..، ثم استخدمت الكتابة في الطبقات في

ميادين غير دينية، "كطبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة، و"طبقات الشعراء" لابن المعز، و"طبقات النحويين" للزبيري(**41**)، والطبقة غالبا ما تعنى بالمدة الزمنية التي عاش فيها جيل من المترجم لهم، ولا تعني التفاضل بينهم.

- **التأريخ حسب الأنساب:** وهي الكتب التي ألفت في رجال قبيلة معينة، أو ذوي نسب من مستوى معين، ككتاب "نسب قريش" لمصعب الزبيري(ت 223هـ)، وكتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري(ت279هـ)..

- **التأريخ المحلي:** عُني المؤرخون المسلمون في كتاباتهم بالتأريخ لإقليم، أو مدينة، ككتاب "تاريخ مكة" للأزرقي(ت250هـ)، "تاريخ دمشق الكبير" لابن عساكر (ت571هـ)، وكتاب "الذرة الثمينة في أخبار المدينة" لابن النجار(ت643هـ)..(**42**).

- **الكتابات التاريخية حول التراجم:** يمكن تقسيم كتابات المؤرخين المسلمين في هذا الباب إلى ثلاثة اقسام:

* **تراجم أهل القرن:** وهي تلك التراجم التي يؤرخ فيها لمن عاش في قرن معين، ولعل أشهر ما ألف في ذلك: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (ت852هـ)، وكتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي(ت902هـ).

* **التأريخ الفئوي:** وهي تلك الكتابات التي ترجمت لفئة معينة من الناس "كالإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر، و"الاستيعاب في أسماء الأصحاب" لابن عبد البر..

* **التراجم العامة:** "كسير أعلام النبلاء" للذهبي، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان..

خاتمــة:

الكتابة التاريخية هي مظهر هام من مظاهر الحضارة الإسلامية تعددت أسبابهم ودوافعهم، فهي صورة لواقع تاريخي وسياسي واجتماعي وديني مشترك، يحسب بالقرون لمجموعة من الكيانات والدول التي قامت في التاريخ الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي.

لقد أخذت الكتابة عند العرب تحذو حذوها من التطور مع مجيء الإسلام وحلت محل الرواية الشفوية عندهم، وقد ساعدت حركة الترجمة التي بزغ نجمها في العصر الأموي والعباسي في شتى العلوم والفنون والمعارف على هذا الإنتاج الكبير في الكتابة التاريخية، وقد واصلت التطور مع مؤرخين أكفاء من طينة بن الأثير، وبن خلدون الذي استقل بمنهج جديد في كتابة التاريخ.

إن الكتابة التاريخية عند المؤرخين العرب هي من الإسهامات الفكرية والعلمية الهامة التي تحسب لهم ، كونهم نقلوا ثقافة وأخبار الحضارات القديمة من جهة، ومن جهة أخرى انفرادهم بمناهج علمية جديدة أسست لظهور مدارس تاريخية مستقلة من حيث المبادئ والأسس التي تقوم عليها، خاصة تلك التي تعتمد على النقد ومحاكاة الواقع الماضي للتقصي والمقارنة.

إن مجال هذا البحث ما يزال مفتوحا لمواضيع أخرى أكثر عمقا لكتابة إنتاجات العرب والمسلمين في الكتابة التاريخية، وما تزال الأيام تكشف عن الجديد في مجال نشر هذه الرسالة التي يبقى جزء كبير منها في طي الضياع والنسيان على شكل مخطوطات تحتاج إلى التفاتة جادة من قبل الدارسين والباحثين.

هوامش البحث:

(1) محمد بيومي مهران، التاريخ والتأريخ(دراسة في ماهية التاريخ ومذاهب تفسيره ومناهج البحث فيه)، دع ط – سنة1992م، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص ص: 117، 118.

(2) يسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن 12هـ، ط01– سنة1991م، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: 23.

(3) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص: 119.

(4) عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ(قضايا المنهج والإشكالات)، ط01– سنة1991م، بيروت: دار الجيل، ص: 155.

(5) يسري عبد الغني عبد الله، المرجع السابق، ص: 26.

(6) محمد نصر مهنا، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، ط01– سنة1996م، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ص ص: 69، 70.

(7) بشار قويدر، مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه، ط01– سنة 1993م، الجزائر: دار الوعي، ص: 32.

(8) محمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص: 82.

(9) عاصم الدسوقي، المرجع السابق، ص: 153.

(10) سورة الفرقان، الآية:05.

(11) سورة القلم، الآية:01.

(12) حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 204.

(13) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص: 114.

(14) يسري عبد الغني عبد الله، المرجع السابق، ص: 23.

(15) فتحية عبد الفتاح النبراوي، علم التاريخ(دراسة في مناهج البحث)، ط01– سنة 1993م، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، ص: 57.

(16) **السنة الهجرية:** تعادل 354 يوما و08 ساعات و48 دقيقة، وأول محرم من السنة الأولى للهجرة يقابلها 16 يوليو622 م.

(17) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص: 111، 112.

(18) المرجع نفسه، ص: 119.

(19) عاصم الدسوقي، المرجع السابق، ص: 154.

(20) فتحية عبد الفتاح النبراوي، المرجع السابق، ص ص: 57، 58.

(21) عاصم الدسوقي، المرجع السابق، ص ص: 155، 156.

(22) محمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص: 73.

(23) المرجع نفسه، ص:77.

(24) حسين محمد سليمان، المرجع السابق، ص: 260.

(25) محمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص: 79.

(26) بشار قويدر، المرجع السابق، ص: 22.

(27) المرجع نفسه، ص: 25.

(28) فتحية عبد الفتاح النبراوي، المرجع السابق، ص: 63.
(29) بشار قويدر، المرجع السابق، ص ص: 25، 26.
(30) المرجع نفسه، ص: 28.
(31) حسين محمد سليمان، المرجع السابق، ص: 262.
(32) المرجع نفسه، ص: 261.
(33) حسين محمد سليمان، المرجع السابق، ص: 266.
(34) بشار قويدر، المرجع السابق، ص ص: 40، 41.
(35) المرجع نفسه، ص ص: 32، 33.
(36) محمد حسن شراب، في أصول تاريخ العرب الإسلامي، ط01- سنة 1993، دمشق: دار القلم، ص: 85.
(37) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دع ط- سنة 1986، بيروت: دار النهضة العربية، ص: 82.
(38) المرجع نفسه، ص ص: 88، 89.
(39) محمد حسن شراب، المرجع السابق: ص: 85.
(40) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 92.